



الطريقة القادرية البودشيشية

سلسلة الإسناد والقيادة

السادة القادرية البودشيشية
فيما أسَّمتُ سلسلة سند الطريقة المباركة

الطريقة القادرية البودشيشية: قراءة شرعية نقدية

عادل خرزون التطواني - المغرب

مقدمة

تمثل الزوايا إحدى المؤسسات الفاعلة في تاريخ المغرب، وتبرز الطريقة القادرية البودشيشية، ومركزها مداغ ببركان، نموذجاً لطريقة صوفية توسع حضورها في العصر الحديث حتى غدا لها امتداد دولي واسع^(١).

وتكتسب دراستها أهمية خاصة لاندماجها في الحقل الديني الرسمي؛ وقد ذهبت دراسات إلى أن الدولة المغربية أعادت، منذ تولي أحمد التوفيق وزارة الأوقاف سنة ٢٠٠٢م، ولا سيما بعد أحداث ٢٠٠٣م، إعادة توظيف البعد الصوفي ضمن إستراتيجيتها لإعادة هيكلة المجال الديني، وتوظيفه لدعم خيارات السلطة ومواجهة التيارات المخالفة للخط الرسمي^(٢).

أولاً: التعريف بالطريقة ونشأتها وانتشارها

البودشيشية طريقة صوفية قادرية تنتسب من جهة السلسلة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، غير أن تميزها باسمها البودشيشي يرجع إلى الشيخ علي بن محمد

بودشيشة، من أهل القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي. وقد اكتسبت لقبها من الشيخ علي بن محمد «بودشيشة» اليزناسني (دفين تاغجبرت ببني خالد)، لإطعامه الناس «الدشيشة» زمن المجاعة^(٣). غير أن نسبها وسندها يحتاج إلى توثيق، وبحسب المصادر التي أمكن فحصها، لم أقف على توثيق مبكر ومستقل يكفي لإثبات تفاصيل هذا السند على الوجه الذي تذكره المصادر المتأخرة^(٤). وقد ارتبطت الطريقة حديثاً بزاوية مداغ (قرب بركان)، التي أصبحت محجاً للمريدين من كل مكان^(٥). وشهدت توسعاً كبيراً في عهد الشيخ حمزة بن العباس (ت ٢٠١٧م)، الذي تولى مشيختها سنة ١٩٧٢م خلفاً لوالده^(٦)، مع انتقال خطابه إلى شرائح من المثقفين والشباب، إلى جانب تنظيم دروس في التصوف والحديث والفقه. ويعكس ذلك قول شيخها: «إذا أردت أن تسمو أخلاقك وتصفو أذواقك وتهيج أشواقك فعليك بذكر الله وصحبة الصالحين المحبين والتأدب معهم^(٧)».

وأصبحت مداغ مركزاً رئيساً لاجتماعات أتباع الطريقة،

٣- معلمة المغرب، إشراف: مصطفى حاجي، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ١٦٦٥/٥؛ «تاريخ وجدة وأنكاد في دوحة الأمجاد»، مولاي عبد الحميد العلوي الإسماعيلي، ١٥٦، ١٥٢؛ «الطرق الصوفية المعاصرة في المغرب الأقصى - عرض ومناقشة»، عبد الله بن سعيد إعياش، ج ١، ص ١٠٦.

٤- «مساهمة في البحث عن الزوايا بني يزناسن، الطريقة القادرية نموذجاً»، أحمد الغزالي، ص ٤٨، جريدة نفحات الطريق، العدد ١١، ٢٠١٢، ص ٨ (الجريدة الناطقة باسم الزاوية البودشيشية).

٥- «الزاوية بالمغرب بين الأصالة والمعاصرة»، جمال القادري بودشيش، ص ٥٩٦.

٦- جريدة نفحات الطريق، العدد ١١، ٢٠١٢، ص ٨؛ «الزاوية بالمغرب بين الأصالة والمعاصرة»، جمال القادري بودشيش، ص ٨٩٣-٨٩٥، بتصرف.

١- «الزوايا المغربية في الفترة المعاصرة وعلاقتها بالدولة: زاوية الطريقة القادرية البودشيشية أنموذجاً»، رشيد الأركو، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ٥٤، ٢٠١٩، ص ١٢٩-١٤٠.

٢- «الفكر السياسي الصوفي: السلطة، الحقوق، الحريات»، مريم ثابت العبيدي، العربي للنشر والتوزيع، «الحركات السلفية في المغرب»، عبد الحكيم أبو اللوز، مركز دراسات الوحدة العربية، ص ٢٤٧.

ورغم من ضخامة حضورها الميداني في المغرب والمهجر، لا تُصدر الطريقة رقماً رسمياً وثابتاً لإجمالي فروعها ومجالسها. حيث تُعدّ اليوم أكبر طريقة صوفية في المغرب، بمريدين يُقدَّرون بمئات الآلاف بحسب دراسات أكاديمية غربية^(٨).

ومن هذا المركز، تمتد شبكة من الزوايا والمجالس المحلية عبر مختلف جهات المملكة، من طنجة شمالاً إلى الأقاليم الصحراوية جنوباً^(٩). وتُدار الطريقة داخلياً عبر شبكة من «المقدمين» المعيّنين من الشيخ في كل منطقة، يُشرفون على تنظيم مجالس الذكر والسماع الأسبوعية.

يتجاوز حضور الطريقة الدائرة الشعبية التقليدية للتصوف ليمتد إلى النخبة السياسية والفكرية والفنية والرياضية المغربية، فمن الفكر، يبرز اسم الفيلسوف طه عبد الرحمان، الذي وصف الشيخ الراحل حمزة القادري البودشيشي بأنه «أخذ بيده في طريق التصوف والتربية الروحية»، ومن السياسة أسماء كوزيزي المالية سابقاً فتح الله ولعلو والكاتب الأول السابق للاتحاد الاشتراكي محمد اليازغي، اللذين زارا الشيخ حمزة وتجاوزا معه حول قضايا الشأن العام^(١٠). كما يُعدّ وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد التوفيق، والأمين العام للرابطة المحمدية للعلماء أحمد العبادي، من الوجوه المرتبطة تاريخياً بالزاوية. ويُشكّل هذا الحضور النخبوي أحد أوجه ما بات يُوصف في التحليلات المغربية بـ «الديبلوماسية الروحية» و«الأمن الروحي»، حيث لعبت الزاوية دوراً في تسجيل بعض المواقف السياسية، أبرزها المشاركة في المسيرة المؤيدة للدستور الجديد بالدار البيضاء بعد الربيع العربي^(١١).

خارجياً، تضم فرنسا أكبر تجمع لأتباعها في المهجر بين المغاربة المقيمين والفرنسيين الذين اعتنقوا الإسلام عبرها^(١٢). ومن أبرز الشخصيات الفرنسية المنتمية إلى الطريقة السياسية الفرنسية-الجزائرية بريدة خياري، عضو مجلس الشيوخ الفرنسي سابقاً، والفنان الراحل عبد الملك (المولود في الكونغو والذي اعتنق الإسلام عبر الطريقة)، الذي أنجب مولوداً سماه «حمزة» على اسم الشيخ الراحل، وأصدر مؤلفات تُروّج للتصوف في أوروبا^(١٣). وقد

صدرت مؤخراً عدة دراسات أكاديمية غربية حول حضورها السياسي والاجتماعي في فرنسا^(١٤). كما لها فروع نشطة في بلجيكا وإنجلترا وإيطاليا وإسبانيا وألمانيا^(١٥).

وتمتد شبكاتهما إلى الولايات المتحدة الأمريكية والهند وباكستان ومصر ودول الخليج^(١٦)، فضلاً عن حضور موثق في غرب أفريقيا، من بينه انتشارها في النيجر منذ بداية الألفية الثالثة، وتحديداً في مدن نيامي وأغاديز وكوني^(١٧). وقد لعبت الطريقة في السنوات الأخيرة دوراً في تكوين الأئمة الأفارقة وترسيخ المرجعية المالكية الأشعرية ذات النفس الصوفي^(١٨).

ثانياً: مركزية الشيخ والمنهج التربوي في الطريقة

تقوم البودشيشية على مفهوم «الصحة» والتربية الروحية والذكر، حيث يحتل الشيخ موقعاً مركزياً في بنائها التربوي. وقد انتهج الشيخ حمزة سبيل التيسير بدلاً من التشديد لمواجهة طغيان المادة، معتبراً أن إصلاح القلب هو الأساس، وأنه يشبه الغرفة المظلمة التي تُنار بنور الذكر^(١٩). وبالنظر إلى هذا المنهج في ميزان الشرع، يُسجل عليه إشكالات عقديان ومنهجان بارزان:

أ - مركزية الشيخ والتعلق به: والإشكال لا يتعلق بمجرد اتخاذ الشيخ معلماً أو مربياً، وإنما بما قد يترتب على ذلك من اعتقاد وساطة دينية خاصة، أو خصائص غيبية، أو لزوم طاعته في غير المعروف، وهي أمور لا تثبت بمجرد الدعوى، وإنما تحتاج إلى دليل شرعي، كما قال ابن القيم: «فتجعل رسول الله ﷺ لك شيخاً، وإماماً، وقُدوة... ولا تثبت وساطة إلا في وصول أمره ونهيه ورسالته إليك»^(٢٠).

ب - مفهوم التزكية والذكر: إن تركية القلوب وإصلاحها حق، لكنها لا تُنال بالتعلق بالأشخاص والرياضات المبتدعة والأوراد^(٢١) المخالفة للهدي الظاهر، بل تُدرك باتباع الكتاب والسنة، وتعظيم الوحي، والعمل الخالص لله تعالى.

١٤ - Sèze, Romain (2019). "Les politiques du soufisme en France: le cas de la Qādiriyya Būdshīshiyya", Social Compass, 66(1), pp. 130-146. <https://doi.org/10.1177/0037768618816095>.
١٥ - حوار مع الباحث الفرنسي فلجوير جين برينو، «دخلت الإسلام على يد شيخ الطريقة البودشيشية»، الدستور، 2-022. الرابط: <https://www.dostor.org/4253227>.
١٦ - «شيخ الطريقة القادرية البودشيشية: التصوف محبة الله ورسوله»، الدستور، ٢٠٢٣. الرابط: <http://www.dostor.org/4701999>.

١٧ - "Aspect du soufisme au Niger: la Tariqa Qadiriyya Boutchichiyya", Mu Kara Sani, N° ١٧-٤١، ٢٠٢٥ juin. الرابط: <https://www.mukarasani.com/mukarasani/index.php?id=٦٤٤>.

١٨ - «الزاوية القادرية البودشيشية: حين يتحوّل التصوف إلى قوة ناعمة»، موقع تنوير، غشت ٢٠٢٥. الرابط: <https://tanwer.ma/٢٠٢٥/٠٨/١٣/>.

١٩ - المرجع نفسه، ص ٩٩٥-١٠٠٨، بتصرف.

٢٠ - «مدارج السالكين...»، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، ١٤٣٣.

٢١ - «مساهمة في البحث عن الزوايا بني يزناسن»، ص ٩٢.

٨ - Sedgwick, Mark J. (٢٠٠٤). Sufism: The Essentials. American University in Cairo Press. <https://en.wikipedia.org/wiki/Budshishiyya>.
٩ - «الطريقة القادرية البودشيشية: تشخيص لخارطة الحضور»، الموضوعي، ٢٠٢٤.

١٠ - «مشاهير في حضن البودشيشية»، جريدة الأخبار، ١٨ غشت ٢٠٢٥.

١١ - المصدر نفسه.

١٢ - «القادرية البودشيشية تطرق أبواب أوروبا»، الدستور، ٢٠١٨. الرابط: <https://www.dostor.org/٢٧٢٨٧١>.

١٣ - «مشاهير في حضن البودشيشية»، مصدر سابق.

وهذه المصطلحات تحتاج إلى مساءلة عقديّة؛ فإطلاق هذه الألفاظ على معنى فيضٍ روحي خاص أو أسرار غيبية تُنتلَق بطريقٍ باطني لا يثبت إلا بدليل شرعي؛ إذ العبادات والأذكار توقيفية، والولاية لا تكون بنسبٍ روحي أو مقام باطني موروثة، وإنما بالإيمان والتقوى، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. وعليه، فما لم يثبت من دعاوى الإذن والفيض والأسرار بدليل من الكتاب والسنة، فلا يصح اعتقاده ولا جعله طريقاً لازماً إلى الله، إذ الغيب لا يُنتلَق إلا عن الوحي.

سادساً: الأوراد والذكر والحضرة

الذكر من أعظم العبادات لقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]. غير أن مشروعية أصل الذكر لا تعني مشروعية كل هيئة أو صيغة أو عدد لم يثبت به دليل؛ فالعبادات مبناها على الاتباع. والأوراد الخاصة بالطريقة تدرس صيغها لتمييز الثابت عن غيره، مع التأكيد على أن الأحوال القلبية والمشاعر التي يجدها المريد في الحضرة لا تنشأ حكماً شرعياً بمفردها.

سابعاً: العلاقة بالدولة والأثر الاجتماعي والسياسي

تجاوز حضور البودشيشية المجال الروحي إلى المجال الاجتماعي والثقافي، وأصبحت لها علاقة ملحوظة بالسياسة الدينية الرسمية في المغرب. وقد أشار الباحثون إلى أن الزوايا أصبحت جزءاً من إعادة صياغة الحقل الديني المغربي^(٢٤). وتبرز هنا إشكالية حدود استقلال المؤسسة الدينية وقدرتها على النقد في ظل اجتماع السلطة الروحية للشيخ بشبكة واسعة من المريدين والقرب من المؤسسة الرسمية^(٢٥).

ثامناً: قيادة الطريقة وتحولات المشيخة بعد ٢٠٢٥م

شهدت قيادة الطريقة تحولاً مهماً بعد وفاة الشيخ جمال الدين القادري البودشيشي في ٨ أغسطس ٢٠٢٥م^(٢٦)؛ إذ ظهرت مباشرة بعد الوفاة مسألة خلافة ابنه الكبير منير استناداً إلى وصية منسوبة إلى والده^(٢٧)، قبل أن يُنشر في

ثالثاً: وقفات نقدية عند بعض العبارات العقدية في خطاب الوصية

تكتسب بعض النصوص المنسوبة إلى الشيخ حمزة بن العباس أهمية خاصة في دراسة المذهب العقدي للطريقة؛ ففي وصية منشورة منسوبة إليه يقول: «وَبَعْدَ الْبُعْدِ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ فَلَا وَجُودَ إِلَّا لِلَّهِ، وَقَبْلَ الْقَبْلِ إِلَى مَا لَا دَرَايَةَ فَلَا وَجُودَ إِلَّا لِلَّهِ، فِي بَحْرِ الْوَحْدَةِ ذَابَتِ الْفَرْدِيَّاتُ، وَانْطَمَسَتِ الْأَنَانِيَّاتُ...»^(٢٨). وتثير هذه العبارات إشكالات عقدياً بالغ الخطورة؛ لما تتضمنه من إطلاقات في باب الوجود والوحدة، ولا سيما قوله: «فلا وجود إلا لله» وقوله: «في بحر الوحدة ذابت الفرديات». فإذا حملت هذه العبارات على ظاهرها المتضمن لنفي الوجود الحقيقي عن المخلوقات أو عدم التمييز بين الخالق والمخلوق، فإن ذلك يوافق بعض صيغ القول بوحدة الوجود، وهو قول باطل يناقض أصل التوحيد وما دلّ عليه الكتاب والسنة من التمييز بين الخالق والمخلوق، وإثبات عبودية الخلق وربوبية الخالق.

رابعاً: ادعاء «الصلب الروحي» ومفهوم الميلاد الجديد

وفي الوصية أيضاً قوله: «... فسيدي جمال هو من ضلّينا الترابي قد نشأ على الطهارة... حتى تحقّق له ميلادٌ جديد من الصُّلب الرُّوحاني لهذه الطريق»^(٢٩). وهذا التعبير يكرّس فكرة الولاية الباطنية والانتساب الروحي الموازي للنسب الحقيقي، بما يوحي بوجود اصطفاء روحي خاص يُورث عبر الأجيال. ولا يثبت لأحد مقام الولاية بمجرد النسب أو الوراثة العائلية؛ وإنما معيار الولاية الشرعية الإيمان والتقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. ولم يثبت عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه أن الولاية أو الإمامة الروحية تُورث بطريق «الصلب الروحي» أو الأذونات السرية.

خامساً: الإذن والوارث والفيض والأنوار

تتضمن بعض نصوص الطريقة حديثاً عن «الإذن» و«الوارث»، و«الفيوض»، و«البركات»، و«الأنوار»، وكذا إشارات سابقة للعباس القادري البودشيشي عن «سر الاسم المفرد» و«إذن حقيقي نوراني».

٢٢ - وصية الشيخ حمزة للشيخ جمال الدين القادري بودشيش، «وصية مباركة»، خرّرت بمداغ في ١٢ ربيع الأول ١٤١١هـ/ ٣ أكتوبر ١٩٩٠م، منشورة على موقع «نفحات الطريق الصوفية» <https://www.nafahat-tarik.com/2019/07/Wassiya-Sheykh-Sidi-Hamza.html>

٢٣ - المرجع نفسه.

٢٤ - «الزوايا المغربية...»، مرجع سابق، ص ١٢٩-١٤٠.

٢٥ - الشيخ والمريد: النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة، عبد الله حمودي، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ص ٢٤١.

٢٦ - ينظر: SNRT News، «وفاة الشيخ جمال الدين القادري البودشيشي»، ٨ أغسطس ٢٠٢٥م، <https://snrtnews.com/article/134059>

٢٧ - هسبريس، «وفاة شيخ الزاوية القادرية البودشيشية.. جمال الدين القادري في ذمة الله»، ٨ غشت ٢٠٢٥م.

١٢ أغسطس ٢٠٢٥م بيان منسوب إلى منير بشأن التنازل لشقيقه معاذ^(٢٨). وفي ٣١ يناير ٢٠٢٦م، انعقد مجلس الطريقة برئاسة معاذ، ووصف بلاغ المجلس معاذًا بشيخ الطريقة^(٢٩). لكن بقيت الطريقة في حالة جدل بين مؤيدي كل أّخ، خاصة أن السلطات الرسمية لم تحسم الأمر، وعليه فإن كفة المشيخة مالت عمليًا نحو معاذ، بينما لم تغلق بعد جميع الأسئلة المرتبطة بالوصية والتمثيل الروحي للطريقة. وهذا يجعل المرحلة المقبلة اختبارًا حقيقيًا لقدرة الزاوية على تجاوز الانقسام وإعادة توحيد صفوف مريديها تحت قيادة واحدة.

ويُعد منير القادري بودشيش من أبرز الشخصيات العلمية والثقافية المرتبطة بالتعريف بالطريقة وإشعاعها الدولي.

خاتمة

يتبين من هذه الدراسة أن الطريقة القادرية البودشيشية أصبحت ذات امتداد محلي ودولي واسع، وأن حضورها ارتبط بتحولات اجتماعية ودينية وسياسية في المغرب المعاصر. غير أن هذا الانتشار لا يحول دون إخضاع خطابها وممارساتها للبحث والنقد العلمي؛ إذ تبرز إشكالات تتعلق بمركزية الشيخ، وبعض مفاهيم الوراثة الروحية والإذن والفيض، فضلاً عن عبارات في باب الوجود والوحدة تحتاج إلى تفسير منضبط ومقارنتها بأصول التوحيد. كما أن نسبة بعض الأسانيد والمفاهيم إلى الطريقة تحتاج إلى توثيق تاريخي مستقل، لا إلى مجرد تداولها في المصادر المتأخرة. ويبقى الميزان في قبول الاعتقادات والعبادات والممارسات هو موافقتها للكتاب والسنة، مع التفريق بين الحكم على القول أو الممارسة وبين الحكم على أعيان الأشخاص.

٢٨- ينظر: رباط اليوم، «منير بودشيش يتنازل عن المشيخة لأخيه معاذ بودشيش»، ١٢ أغسطس ٢٠٢٥م، https://rabatoday.ma/?utm_source=chatgpt.com.
٢٩- ينظر: بوابة المغرب الشرقي، «بلاغ مجلس الطريقة القادرية البودشيشية بشأن اجتماعه»، ١ فبراير ٢٠٢٦م، https://www.orientmaroc.com/?utm_source=chatgpt.com.